الفصل الثاني

تعرف أوروبا على الشاي

تعرف أوروبا على الشاي

بينما كان الشاي في أوج عصره وأزهى أوقاته وعنفوان شبابه في اليابان والصين، كانت المعلومات المتوافرة عنه غير متاحة في أوروبا وباقي دول العالم ولم يكن معلوما أو على الأقل واضحا كيف يجهز ويقدم مشروب الشاي.

وقد ذكر كتاب ما أن أوراق الشاي كانت تغلى، تملح، ويضاف إليها الزبد ثم تأكل.

وكان أول شخص أوروبي يكتب عن الشاي بحق وبصورة جلية هو الأب المسيحي البرتغالي جاسبر دي كروز Jasper de Cruz سنة ١٥٦٠م.

فعندما حصلت البرتغال بنجاح على أول حق للتجارة مع الصين نتيجة لأسطولها المتقدم، وباعتباره من الإرسالية التجارية الأولى، تذوق الأب جاسبر دي كروز الشاي لأول مرة في الصين ولمدة وصلت إلى أربعة سنوات.

وقد طور البرتغاليون طريق التجارة والذي عن طريقه قاموا بشحن الشاي إلى لشبونة، ثم تنقله السفن الهولندية إلى فرنسا، وهولندا ثم إلى دول البلطيق (في هذا التوقيت كانت هولندا مرتبطة سياسيا بالبرتغال، وعندما تغيرت المعاهدة أو التحالف سنة ١٦٠٢م، قامت هولندا يعينها أسطولها الهائل بالإتجار مع الباسيفيك).

دخول الشاي إلى أوروبا

عندما وصل الشاي أخيرا إلى أوروبا كانت إليزابيث الأولى Elizabeth I ما زالت على قيد الحياة، بينما ريمبراندت Rembrandt في عمر يناهز الست سنوات.

ولنجاح التجربة الهولندية في الباسيفيك، أصبح الشاي في هولندا حكرا على الأغنياء دون الطبقة الكادحة نتيجة لارتفاع سعره حيث كان يزيد سعر الرطل من الشاي عن ١٠٠ دولار.

وبينما تزايدت كمية الشاي المستوردة من الخارج ببطىء، تناقص السعر تدريجيا لزيادة القادم منه وارتفاع معدل البيع، وهو مبدأ اقتصادي هام يتضمن أن الندرة أساس الثمن.

وكان الشاي يعتبر عند بداية دخوله نوعا هاما من النباتات لدرجة أنه كان متاحا في الصيدليات جنبا إلى جنب مع بعض أنواع التوابل النادرة كالزنجبيل وكذلك السكر، وقد أصبح الشاي متاحا في متاجر بيع الطعام المنتشرة في هولندا بحلول عام ١٦٧٥م.

وقد تدافع الأطباء والباحثون من مختلف الجامعات والمعاهد البحثية لدراسة تأثيرات الشاي السلبية والإيجابية على أعضاء الجسم بعد أن زاد طلبه وزاد استهلاكه بين جميع طبقات المجتمع الهولندي.

وقد تجاهل عامة المجتمع جميع الإرشادات التي رفع لوائها الباحثون والأطباء المتعلقة بالشاي فيما عرف حينئذ بظاهرة " ضلال أو بدعة الشاي tea heretics" وتجاهلوا كل ما يقال عن الشاي واستمروا في الاستمتاع بتعاطي هذا المشروب الجديد بالرغم من المعارضة التي

استمرت من سنة ١٦٣٥م حتى سنة ١٦٥٧م، وخلال هذه الفترة قادت فرنسا وهولندا أوروبا إلى استخدام الشاي.

ونتيجة لاجتياح جنون شرب الشاي أوروبا، أصبح الشاي جزء لا يتجزأ من طريقة حياة الأفراد.

وفي هذا المضمار، أدلت الناقدة ماري دي رابوتين- شانتال Marie- de Rabutin-Chantal بدلوها في هذا البحر المكتظ بالموضوعات التي شغلت الرأي العام والمجتمع على حد سواء وذكرت في سنة ١٦٨٠م إمكانية إضافة اللبن إلى الشاي، وفي نفس الوقت قامت الفنادق الهولندية بتبني أول خدمة تقديم الشاي في المطاعم.

ولإنعاش أعمالهم، مد مالكو الحانات والفنادق الضيوف بمجموعة شاي نقالة صغيرة مع وحدة تسخين حتى يستطيع النزلاء والضيوف إعداد الشاي بأنفسهم إشباعا لرغبتهم في شرب الشاي ودليلا على تقديم خدمة مميزة من جانب أصحاب الفنادق والحانات.

وفي ذات الوقت، كان الرجل الهولندي يقوم بتجهيز الشاي لنفسه ولأصدقائه في حديقة الفندق بعيدا عن أسوار الفندق في الهواء الطلق المنعش والفضاء الرحب الفسيح.

هذا، وقد ظل الشاي في فرنسا محتفظا بموقع الصدارة ومحتلا مكانا متقدما بين المشروبات الأخرى لمدة حوالي ٥٠ عاما ثم تراجع عن رفعته وفقد بريقه ورونقه وحلت محله الخمر، والكاكاو، والقهوة المستوردة من خارج البلاد.